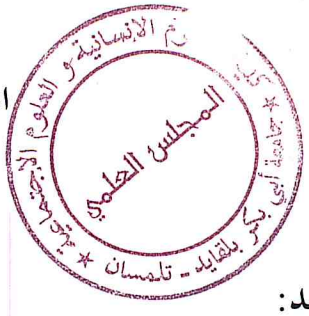

المحاضرة الثالثة: الثقافة وعلم النفس (تابع)

نماذج من النظريات الأنتروبولوجية

تمهيد:

تتعدد النظريات الأنتروبولوجية وذلك يرتد إلى تعدد موضـــوعاتها وما نلاحظه تداخل كثير من العلوم الاجتماعية والإنســـانية مع الأنتروبولوجيا منها علم الاجتماع وعلم النفس وعلم الإقتصـــاد وعلم الســـياســـة وعلم التاريخ ... ومن بين أهم النظريات الأنتروبولوجية التي تشـــكل نماذج معرفية لمقاربة الظواهر الثقافية والاجتماعية ما يلي:

1- النظرية التطورية:

تعتبر هذه النظرية من بين أبرز النظريات التي تشـــكلت عبر مراحل تاريخية متعاقبة وتبلورت تحديدا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر بتأثير من الثورات والإنجازات العلمية الكبيرة التي تحققت في علم البيولوجيا والعلوم الطبيعية حيث تأثر علماء الاجتماع والانتروبولوجيا بكتابات تشـــارلز دارون حول أصل تطور الأنواع وهو كتابه الأساس الذي يشرح فيه مبدا التطور في السلالة الحيوانية والبشرية على أساس التطور في مستوى الفصيلة . يقول رحال بوبريك:" تعتبر المدرسة التطورية وليدة سياق القرن التاسع عشر ، فلسفيا وعلميا وإيديولوجيا. فالنظرية التطورية التي بدأت مع عصر الأنوار والثورات العلمية ستفرض نفسها في القرن التاسع عشر أمام التقدم السريع الذي عرفه الغرب والمسافة التي أصـــبحت تفصـــله عن المجتمعات الأخرى . ظهرت التطورية في البداية في حقل العلوم البيولوجية من خلال نظرية جان باتيست دولامارك 1744-1828 وبعده داروين. ففي القرن التاسع عشر كانت نظرية أصول تطور الأنواع هي المهيمنة على الحقل الفلسفي والعلمي والفكري." [1]

هذا الإنجاز العلمي الكبير استمده هاربرت سبنسر الذي ذهب إلى القول بأن المجتمع شبيه بالبذرة التي تنمو وتتطور ثم تندثر كما تقوم نظريته في التطور على مبدأين هما : مبدأ التباين ومبدأ التكامل ويعني مبدا التباين ان الكائن العضـــوي تختلف أعضـــاؤه فتختلف وظائفه ، ويقصـــد بالتكامل هو ان

[1] – رحال بوبريك، مدخل إلى الأنتروبولوجيا، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، المغرب، 2014، ص 46

هذا التباين غرضــه تحديد دور كل عضــو ذاخل النظام الاجتماعي وبعبارة أدق فإن أعضــاء الكائن العضوي متباينة ومتكاملة للحفاظ على تكيف هذا الكائن واستقراره .

انتقل مبدا التطور من مجال من مجال علم الاجتماع إلى مجال الأنتروبولوجيا حيث يمثل النظرية التطورية في الأنتروبولوجيا كثير من العلماء منهم : جوهان باخوفين الذي تمحورت أبحاثه حول سـلطة الأم التي يؤكد عليها في كتابه " حق الأم " وماكلينان صــاحب كتاب " الزواج البدائي " وهنري مين ، ولويس مورغان في مؤلفه الكبير " المجتمع القديم "1877... كان هؤلاء الأنتروبولوجيون التطوريون يشــتركون في ميدان اهتمام معرفي وأنتروبولوجي واحد يتمحور حول نظام العائلة والقرابة ومؤسسة الزواج وإدوارد تلور صــاحب كتاب " الثقافة البدائية " 1871 وجيمس فريزر مؤلف كتاب : " الغصــن الذهبي " الذي أنجز في عدة أجزاء من 1890 حتى 1915 ، وقد اهتما في أبحاثهما الأنتروبولوجية بالدين والسحر بصفة خاصة .

تقوم النظرية التطورية على مجموعة من الأسس منها :

– تفسـير الظواهر الاجتماعية والثقافية وربطها بسـياقاتها التاريخية حيث تعطي أهمية كبيرة للتاريخ وفي هذه النقطة تلتقي مع النظرية الماركسية.

– التأكيد على تطور النظم الاجتماعية والثقافية والســياســية وانتقالها من حالة إلى حالة أخرى ومن شكل لآخر.

– تقوم على مفهومي التباين والتكامل و يتجلى ذلك عند هاربرت سبنسر.

– تعتقد أن الثقافات البشرية متشابهة وانها تسير في شكل مستقيمات متوازية حتى انها سميت بنظرية المســتقيمات المتوازية ولكن كل مســتقيم يفوق مســتقيم آخر أي أن هناك ثقافة متطورة على ثقافة أخرى و هناك ثقافة تتميز بالسرعة في التقدم و هناك ثقافة بطيئة وان هناك عقل واحد تحكمه قوانين واحدة و تفكير واحد مما يجعل الثقافات تسـير في إتجاه واحد لهذا كانت متشـابهة . فالتشـاه إذن في الثقافات هو تشابه في قوانين العقل.

2- النظرية الانتشارية :

يقصد بالانتشار الثقافي عملية انتقال نماذج ثقافية من مساحة جغرافية إلة مساحة أخرى عن طريق الاتصال بين الأفراد و الجماعات ، و الهجرة من مكان إلى آخر ، أو التجارة ... و تضم هذه النظرية عدة اتجاهات حيث تفترض أن مبدأ الانتشار قد بدأ من مركز حضاري معين وامتد في مراحل تاريخية متعاقبة إلى مناطق مختلفة من العالم و ذلك نتيجة الاتصال بين الشعوب، و تذهب النظرية الانتشارية في بريطانيا إلى القول بأن الحضارة الإنسانية ترتد إلى مركز واحد و من ثمة انتقلت عن طريق الهجرة والحروب و التبادل التجاري إلى الشعوب والمجتمعات و يمثل هذا الاتجاه العالم البريطاني إليوت سميث 1871- 1937 وتلامذته حيث يعتقدون أن الحضارة الإنسانية نشأت وازدهرت على ضفاف نهر النيل في مصر القديمة منذ حوالي خمسة آلاف سنة قبل الميلاد تقريبا وذلك بعد فترة طويلة عاشتها الإنسانية على الصيد [1].

لكن بعض الأنتروبولوجيين في ألمانيا والنمسا رفضوا هذا المبدأ القائم على مركزية منشأ الحضارة الإنسانية من بينهم ولهيم شميدت 1868-1959 الذي يعتقد أن الانتشار الثافي قد تم من مراكز متعددة من العالم ، وهذا ما يفسر تعدد الثقافات ونماذج السلوك البشري.

وفي الولايات التحدة الأمريكية يفند العالم الأنتروبولوجي فرانز بواز مركزية الانتشار الثقافي وتشكل الحضارة البشرية من مصدر واحد حيث يتصور أن كل ثقافة نمت في سياق تاريخي معين، وقد وظف مفهوم المناطق الثقافية ليفسر الخصوصيات الثقافية للمجتمعات البشرية وذلك أن لكل ثقافة في منطقة ما من العالم لها ميزاتها و خصوصياتها .هذا التفسير الأنتروبولوجي عند فرانز بواز بصفة خاصة قد فند مزاعم التطوريين الذين اعتقدوا أن الثقافات متشابهة :" و نتج عن هذا الاتجاه الانتشاري بصفة عامة أن بدأ الأنتروبولوجيون ينظرون إلى الثقافات الإنسانية باعتبارها كيانات مستقلة من حيث المنشأ والتطور والملامح الرئيسية التي تميزها عن غيرها، وذلك على عكس التطوريين الذين رأوا أن

26- عبد الغني عماد، سوسيولوجيا الثقافة ، المفاهيم والإشكاليات ... من الحداثة إلى العولمة ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيرو، ط2، 2008، ص 50

الثقافات متشـــابهة، و أن الاختلاف الوحيد بينها يكمن فقط في درجة تطورها التكنولوجي و الاقتصادي ." [1]

يبين هذا النص أن النظرية الانتشـارية قد فندت التصـور الأنتروبولوجي التطوري ، وطرحت مسـألة جديدة في الفكر الأنتروبولوجي المعاصـر مع المدرسـة الانتشـارية وبخاصـة مع فرانز بواز متمثلة في أن لكل مجتمع خصـوصـياته الثقافية والاجتماعية والدينية ... فليسـت هناك ثقافة واحدة بل ثقافات متعددة وإلى جانب مبدأ الخصوصية الثقافية للمجتمعات فقد أضافت شيئا جديدا يتمثل في النسبية الثقافية .

ويؤكد فرانز بواز الذي يعتبر أب الأنتروبولوجية الأمريكية على الخصـوصـية والنسـبية الثقافية بفعل الأبحاث الميدانية العديدة التي قام بها على قبائل عديدة أشـهرها تلك التي أنجزها حول قبائل الإسكيمو.[2]

3- النظرية الوظيفية:

ظهرت الوظيفية كرد فعل على النظرية التطورية، وتقوم على مفاهيم أسـاسـية منها النسـق والوظيفة والحاجات والتكيف والتوازن...، ويعتقد إفانز بريتشارد أن الأنتروبولوجيا تشكلت كعلم قائم بذاته مع التحقيقات الميدانية التي أنجزها العلماء الوظيفيون وهي الميزة التي تنفرد بها الوظيفية والتي لا نعثر عليها عند التطوريين الذين اكتفوا فقط بجمع المعطيات من المبشـرين والمغامرين والتجار العائدين من تلك المجتمعات التي كانت تطلق عليها تسمية " مجتمعات بدائية " .

و تظهر جذور الفكر الوظيفي في كتابات ماكس فيبر ودوركايهم في كتابه " التقسيم الاجتماعي للعمل " حين يتحدث عن التضامن الآلي والتضامن العضوي وخصائص كل منهما ، لكن الوظيفيية تشهد تطورا كبيرا في بداية القرن العشرين وبخاصة مع رادكليف براون ومالينوفسكي الذي يؤسس للأنتروبولوجيا الوظيفية من خلال أبحاثه الميدانية التي أنجزها في مناطق جغرافية عديدة منها دراساته بغينيا الجديدة وشعوب جزر التروبرياند سنة 1922 وينفرد مالينوفسكي عن باقي الأنتروبولوجيين باستعماله للملاحظة بالمشاركة التي تتطلب من الباحث أن يمارس نفس الطقوس والعادات والتقاليد ... للأفراد والجماعات

---

[1] – المرجع نفسه، ص 51

[2] – محمد رياض، الإنسان. دراسة في النوع و الحضارة، دار النهضة العربية، بيروت، ط2، 1974، ص 299

التي يقوم بدراستها، كما أكد على ضرورة فصل الظاهرة المدروسة عن تاريخها الذي نشأت و تطورت فيه حيث يرى :" أنه يجب الاقتصار على الملاحظة المباشرة للثقافات في وضعها القائم. من دون محاولة العودة إلى أصولها، إذ إن ذلك يمثل تمشيا واهما لأنه لا يحتمل إقامة الحجة العلمية عليه." [1]

– أسس النظرية الوظيفية :

ترتكز النظرية الوظيفية على مجموعة من الركائز التي نلاحظ من خلالها تأثير البيولوجيا و علم وظائف الأعضاء على طريقة مقارباتها الأنثروبولوجية للظواهر الاجتماعية و الثقافية و السياسية وكذلك نتيجة تأثير التكوين العلمي القاعدي للأنتروبولوجيين الوظيفيين حيث يلاحظ أن أغلبهم من البيولوجيين أو العلوم الطبيعية و هي الميزة التي نجدها عند الانتروبولوجيين البريطانيين والأمريكيين :

– استبعاد الدراسة التاريخية للظواهر الثقافية و الاجتماعية.

– مبدأ المشابهة والمماثلة من حيث الوظائف بين الكائن الاجتماعي والكائن العضوي.

– مبدأ التوازن والحفاظ على النسق الإجتماعي من خلال تلبية الحاجات المادية و المعنوية وهي جملة الوظائف التي تقوم بها النظم الإجتماعية لإشباع هذه الحاجات المختلفة .

– الإقرار بظاهرة الاعتلال الوظيفي داخل النسق و استبعاد فكرة الصراع.

4– مدرسة التحليل النفسي:

كان التحليل النفسي في بدايات نشوئه علما طبيا يعالج الأمراض النفسية والعصابية ثم تحول إلى دراسة تطور البشرية، واهتم بالثقافة ومكونات الشخصية القاعدية للإنسان.

يرى فرويد أن سير العمليات اللاشعورية يحدد خاصية نشوء المعايير الأخلاقية للسلوك البشري والروابط الاجتماعية والمؤسسات التي تدل على تقدم البشرية بدءا من الجماعات الأولية البدائية وانتهاء بالتنظيم

[1] – دنيس ، كوش ، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية ، تر: منير السعيداني ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط1، 2007، ص 58

المعاصر للمجتمع الرأسمالي،لقد بحث في تاريخ تطور المجتمع البدائي وتوصل إلى فرضية مفادها أن الدين والأخلاق والمشاعر الاجتماعية تشكلت على أساس عقدة أوديب أي عن طريق كبت هذه العقدة[1].

عاش الإنسان في بداية نشوئه في أسرة بدائية وكانت السلطة الاجتماعية بيد أب يمتلك النساء فكان الأبناء يخضعون لسلطته وإرادته. ولما كان الأبناء في كل مرة يطالبون حقهم في التمتع بالنساء كان الأب يطردهم من الأسرة البدائية، ويدافع بقوة عن حقه في احتكار النساء وامتلاكهن إلا أن هذه السلطة الأبوية لم تستمر طويلا إذ اتحد الأبناء المطرودين وقتلوا الأب وأكلوه واضعين بذلك نهاية للأسرة البدائية.

وعلى الرغم من التصور الأنتروبولوجي والتاريخي الذي يؤسس عليه فرويد أطروحته حول التحليل النفسي في تحليل البنية الشخصية للفرد ودوره في تشكيل ثقافته بمختلف مكوناتها الدينية والاجتماعية والسلوكية ... على فرضيات مستمدة من أسطورة عقدة أوديب إلا أن ذلك لا يمنعنا من القول بان فرويد قد ساهم في تأسيس أنتروبولوجيا تشرح لنا نشاة الثقافة وطبيعتها في المجتمع البدائي والمجتمع المعاصر ، ويمكن عرض نص يلخص لنا الفكر الأنتروبولوجي عند سيغمند فرويد حيث يقول بول فاليري:" إن الصورة الخيالية التي رسمها فرويد للمجتمع البدائي على أساس استخدام جميع هذه الفرضيات ، قد بدت على الشكل التالي : "كان الإنسان في بداية نشوئه، يعيش ضمن أسرة بدائية يلعب الأب فيها الدور الرئيسي . وكان جميع الأبناء يخضعون لقوته وإرادته . وكان هو، وحده صاحب الحصة في امتلاك النساء. وعندما يكبر الأبناء، ويحاولون المطالبة بحقوقهم كان الأب يطردهم من الأسرة البدائية. وكان يدافع بفضل قوته الجسدية عن حقه باحتكار النساء ويقضي بأعمال حازمة على احتمال نشوء مواقف النزاع التي قد تنشأ بسبب امتلاك النساء . غير أن هذا الوضع لم يكن له أن يبقى خالدا . فقد اتحد الأبناء المطرودون فيما بينهم ، وقتلوا الأب وأكلوه ، واضعين بذلك نهاية للأسرة البدائية ، إلا أن الأبناء كانوا خاضعين لتأثير المشاعر الازدواجية، التي تظهر اليوم أيضا لدى الأطفال والعصابيين. فقد كانوا يكرهون أباهم ويمجدونه في آن واحد. وبقتلهم أبيهم لبوا عاطفة الكراهية، وخضعوا لسلطة مشاعر القربى الرؤوفة الحنونة التي نشأ على أساسها الشعور بالذنب والندم. ودفعهم هذا إلى تخليد صورة أبيهم إلى الأبد، على شكل طوطم، معلنين تحريم قتل نائب الأب ... و هكذا نشأت المحرمات

[1] – إبراهيم ، الحيدري ، النظام الأبوي وإشكالية الجنس عند العرب، دار الساقي ، بيروت ، ط1، 2003، ص 209

الرئيسية للطوطمية ... لقد بدأت الحضارة البشرية، حسب رأي فرويد، بهذا الحدث العظيم، الذي يذكر الإنسان دائما بجريمة أجداده." [1]

غير أن الأبناء كانوا خاضعين لتأثير المشاعر الازدواجية: فهم يكرهون أباهم ويمجدونه في آن واحد وتصفيتهم الجسدية لأبيهم لبوا عاطفة الكراهية وخضعوا لسلطة القيم الأخلاقية التي نشأت على أساسها الشعور بالذنب والندم، ودفعهم هذا إلى تخليد أبيهم إلى الأبد على شكل طوطم معلنين تحريم قتل نائب الأب.

إن الشعور بالذنب قد دفع بالأبناء إلى التخلي عن رغباتهم في النساء و فرض تحريم الزنى وهكذا نشأت المحرمات "**TABOUS**" الطوطمية يقول فرويد: "يستقر المجتمع الآن على المشاركة في الجريمة المرتكبة بصورة جماعية، أما الدين فيقوم على الشعور بالذنب و الندم و تقوم الأخلاق على حاجات هذا المجتمع من ناحية وعلى الندم الذي يقتضيه الشعور بالذنب من ناحية ثانية"[2]

---

[1] – فاليري ليبين، المرجع السابق، ص 54

[2] – المرجع السابق، ص 57

كلية العلوم الانسانية و العلوم الاجتماعية
المجلس العلمي
جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان

المحاضرة الرابعة: الثقافة وعلم النفس (تابع)

مفهوم الدين بين الأنثروبولوجيا وعلم النفس وعلم الاجتماع:

تمهيد :

حظي مفهوم الدين بأهمية كبيرة عند الفلاسفة والعلماء قديما وحديثا، كما احتلته أنساق متعددة في التفكير وإشكاليات مختلفة حاولت كل واحدة فهمه ودراسته بالبحث في أصول نشأته ووظائفه وفي تأثيره على سلوك الأفراد وبنى المجتمعات، ونقصد بهذه الأنساق والإشكاليات نظريات علم الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع وعلم النفس، حيث اهتم كل علم من هذه العلوم بكشف جانب من جوانبه أو بمجال من مجالاته.

نعتقد أن هذا الاهتمام المتزايد بالدين يعود و بالأساس إلى استمراريته في كل المجتمعات، و إلى عدم زواله على الرغم من كل التحولات الكبرى التي شهدتها المجتمعات البدائية و المتحضرة، و لأنه إلى جانب ذلك، يعد عنصرا بنائيا في النسق الاجتماعي و الثقافي الأصلي لكل مجتمع.

هذا الحضور الديني واستمراريته، وهيمنته قد فند مزاعم وطروحات عدد كبير من المفكرين تقوم على افتراضات قوامها أن اكتشافات العلم المستمرة والمتجددة ستجيب عن كل التساؤلات التي تحير وتقلق عقل الإنسان يقول ماكس مولر Max muller في كتابه "قراءات في أصل الدين وتناميه" عام 1878م:" إن أكثر الصحف انتشارا تتنافس فيما بينها يوميا وأسبوعيا شهريا لتقول لنا إن زمن الدين قد ولى، وأن الإيمان وهم أو مرض طفولي وأنه قد تم الاكتشاف أخيرا أن الآلهة لم تكن إلا من اختراع البشر وأنها قد فقدت من ثم رصيدها"[1]، وفي نفس الاتجاه ذهب كراولي Crawley عام 1905م إلى القول:" إن أعداء الدين يشنون حملة شعواء ليبينوا أن العلم والدين متضادان، ولينشروا أمام الملأ أن الدين ليس إلا أثرا من مخلفات عصر بدائي كانت تبتدع فيه الأساطير وأن زواله ليس إلا مسألة وقت."[2]

---

[1]- ايفانز بريتشارد، الأناسة المجتمعية وديانة البدائيين في نظريات الأناسين، ترجمة حسن قبيسي، دار الحداثة، بيروت، ط1، 1986، ص 272

[2] – المرجع نفسه، ص 273

إنه على الرغم من التحولات التي شهدتها المجتمعات على مستوى بنياتها الاجتماعية والثقافية والاقتصادية وكذا الثورات العلمية، التي حدثت في كل عصر من عصور التاريخ إلا أن الدين كنسق من المعتقدات والممارسات قد ظل نمطا ثقافيا ونظاما سلوكيا متميزا ومتماسكا أو- بعبارة أدق- ظل عالما روحيا يلجأ إليه الإنسان ويتفاعل معه وبخاصة كل ما تأزمت أوضاعه وازدادت مشاكله الحياتية حدة وتعقيدا.

و لا ريب إذا قلنا إن الدين يمثل فضاءا روحيا خاصا يحافظ فيه الإنسان على استقراره ووجوده وعلى تكيفه النفسي و الاجتماعي. فقد أثبتت التحقيقات الميدانية و الأبحاث النثروبولوجية و الاجتماعية صحة هذا التصور إذ يقول إيفانز بريتشارد Evans Pritchard:" إن التقدم العلمي والتكنولوجي قد أفرغ السحر من معناه لكن الدين لا زال موجودا بل إن دوره المجتمعي آخذ في الاتساع."[1]

1 – الدين في الأنتروبولوجيا وعلم النفس :

لقد اختلفت نظرة المفكرين لظاهرة الدين ففريق بحث عن أصل الأديان أمثال: إدوارد تيلور E.Tylor (1832- 1917)، وماكس مولر M. MULLER وجيمس فريزر G.FRAZER (1854- 1941)، وفريق آخر اهتم بتبيان وظيفته النفسية والاجتماعية، و يمثله كراولي CRAWLEY ومالينوفسكي MALINOWSKI (1884- 1942)، و ماكس فيبر M.WEBER (1864- 1920) و إميل دور كايهم E.DURKHEIM (1858- 1917) وهناك فريق آخر قد اتخذ موقفا عدائيا من الدين و وصل إلى درجة إنكاره و محاربته و نخص بالذكر فريدريش نيتشه F.NIETZSCHE (1844- 1900) و كارل ماركس و سيغموند فرويد S.FREUD (1856- 1939).

اهتم الأنتروبولوجيون الأوائل بدارسة بعض الظواهر الاجتماعية مثل ظاهرة الدين وذلك من خلال النزعة التطورية التي سادت الفكر الأنتروبولوجي في القرن التاسع عشر، إذ حاول تيلور تفسير نشأة

[1] – المرجع السابق، ص 288.

الدين و قدم تعريفا له متمثلا في أن الدين اعتقاد بالقوى الروحية،[1] يستمد أصوله من الأحلام، و من الإيمان بالأرواح.

و تقوم هذه النظرة على فرضية أساسية مفادها أن التفكير الديني قد تطور و تعقد عن طريق العمليات الذهنية، حيث كان الإنسان البدائي يقوم بهذه العمليات لتفسير بعض الظواهر الطبيعية كالموت و المرض والأحلام والرؤيا.. . فافترض وجود نفس مستقلة عن الجسم أي مستقلة عن غلافها المادي ثم بدأ بعد توصله إلى فكرة النفس يتصور أن الحيوانات والنباتات وحتى الجمادات تمتلك هي الأخرى نفوسا ثم اهتدى في نهاية المطاف إلى فكرة وجود كائنات قوية ذات نفوس خالصة أطلق عليها اسم الآلهة أو الأرواح. يقول تيلور:" فالوجود الروحي إذا هو وجود ذهني. و عالم الأرواح ما هو إلا عالم ذهني."[2]

و في نفس الاتجاه قام جيمس فريزر بدراسة السحر والدين في القبائل الأسترالية، ويعتقد في كتابه الشهير (الغصن الذهبي) أن البشرية بأسرها قد مرت بثلاث مراحل من النمو الذهني: السحر إلى الدين ومن الدين إلى العلم. و ما نلحظه عند فريزر هو أنه لا يميز بين السحر و العلم فهما بالنسبة له متشابهان من الناحية النفسية، حيث جعل السحر والعلم في مقابل الدين و يبرر ذلك كون أن الاثنين الأولين يمثلان عالما خاضعا لقوانين طبيعية ثابتة بينما يمثل الدين عالما تخضع الأحداث فيه لرغبات الأرواح.[3]

و يتصور كراولي في مؤلفه الشهير " الوردة الصوفية " أن الدين ليس إلا نتاجا من نواتج الخوف و الحذر و القلق وانعدام المبادرة والجهل وفقدان الخبرة...و هي كلها صفات تجلت في الإنسان البدائي و تدل على عجزه، فالدين يضفي طابعا مقدسا على كل ما من شأنه أن يهب الحياة و الصحة و القوة.

---

[1] – المرجع السابق، ص 194

[2] – المرجع نفسه، ص 185

[3] – المرجع نفسه، ص 196

وفي كلمة، يعتقد كراولي أنه كلما كانت هناك أخطار و تحديات يعجز الإنسان عن مواجهتها و التصدي لها، كلما كان هناك دين.[1]

و إذا انتقلنا من النظرة التطورية إلى النظرة الوظيفية فإن الباحث الأنثروبولوجي مالينوفسكي قد أولى بدوره أهمية كبيرة للدين غير أنه هو الآخر لا يميز بين الدين والسحر من الناحية النفسية، أي أنهما متشابهان، و يركز في بحثه لهما على وظيفتهما النفسية و الاجتماعية، فهما يلعبان معا دورا مهدئا، و يحققان الاستقرار والاطمئنان والراحة عند ممارسة الإنسان لطقوسه الدينية، و يذهب إلى القول بأن السحر كالدين يفعل فعله في حالات الاضطراب و القلق لأن الإنسان لا يملك المعلومات اللازمة التي تمكنه من تذليل الصعوبات و رفع التحديات التي تواجهه بأساليب تجريبية، لذا فهو يلجأ إلى السحر أو الدين بوصفهما نشاطا تعويضيا يسكن التوتر الحاصل من جراء العجز والرغبة، و هو توتر يهدد بالقضاء على نجاحه في أعماله. من هنا كان الشكل الإيحائي في الطقوس.[2]

و يتصور مالينوفسكي أيضا أن ممارسة الإنسان لطقوسه الدينية يهدف إلى تغيير وضعه وإيجاد تكيف ملائم مع الظروف الطبيعية و الاجتماعية، فممارسة طقوس الاستسقاء مثلا التي يفترض فيها أن تسقط المطر فإن المؤمنين لا يسببون هطوله ولكنهم بتجمعهم لإتمام الاحتفال المفروض فإن أعضاء المجموعة يعبئون الطاقات التي تسمح لهم بتحمل أفضل لتجربة الجفاف والفقر الذي يرافقه.

إن ممارسة هذا الطقس- على حد تعبير مالينوفسكي- لا يزيل عن المؤمن قلقه أو على الأقل التخفيف من حدته فقط بواسطة تصرفات وسلوكات بديلة، بل إنه إلى جانب ذلك يسهم في تقوية العلاقات الاجتماعية بين الأفراد وفي تضامنهم شريطة أن تمارس بجدية.[3]

2- الدين عند علماء الإجتماع :

إذا انتقلنا من مجال الأنثروبولوجيا إلى مجال السوسيولوجيا فقد اهتم علماء الاجتماع بدراسة ظاهرة الدين و خصصوا لها حقلا معرفيا مستقلا بذاته هو ما يطلق عليه في عرف علماء الاجتماع (علم

---

[1] - المرجع السابق، ص 196

[2] - المرجع نفسه، ص 196

[3] - ر.بودون وف، بوريكو، المعجم النقدي لعلم الاجتماع، ترجمة سليم حداد، ديوان المطبوعات الجامعية، ط1 1976، ص 121

الاجتماع الديني) حيث أسهم دوركايهم، وماكس فيبر في تأسيس هذا النوع الجديد من الدراسات السوسيولوجية التي تهتم بالمعتقدات والممارسات الدينية التي تصدر عن أفراد المجتمع، وتنتجها المؤسسات الدينية التي تعمل على تلقينها لهؤلاء الأفراد عن طريق التنشئة الاجتماعية.

لقد بحث دور كايهم في أصل الدين وتصور أن الطوطمية هي الصورة البدائية للدين وأقدم أشكاله وبين أن الديانة البدائية هي عبادة العشيرة، وهذه العبادة هي عبادة طوطمية، فقد كان لكل عشيرة أو قبيلة طوطمها، فأعضاء القبيلة التي طوطمها الأرانب مثلا يكونون قبيلة الأرانب، ويعتبرون أنفسهم من سلالتها وأقارب لها ويقومون بواجبات معينة نحوها وينتظرون منها معاملة حسنة.[1]

يعتقد دور كايهم أن الطوطمية هي مصدر الأديان كلها، وعبادة الإنسان لله ناشئة من عبادته للطواطم، وينجم عن هذا التصور أن الدين عند دور كايهم غير منزل على الإنسان، ويعد ظاهرة اجتماعية فقط كباقي الظواهر الأخرى ولكن الناس- على حد تعبير دور كايهم- نسوا مصدره وكيفية نشوئه وصاروا يعتبرونه وحيا منزلا من السماء، حين صاروا يؤمنون بالله ويقدسونه بدلا من الطوطم.[2]

إذا كان دور كايهم قد بحث في أصل الدين فإنه حدد إلى جانب ذلك طرق دراسته دراسة علمية، إذ يمكن القول إنه أول مفكر نقل دراسة الدين من مجاله السيكولوجي إلى مجاله السوسيولوجي وبنفس الطريقة التي عالج بها ظاهرة الانتحار، أي أن ظاهرة الدين ليست ظاهرة فردية ترتد إلى عوامل نفسية فقط، بل تعتبر أيضا ظاهرة اجتماعية موضوعية ومستقلة، وقد حدد لها ثلاث صفات(*):

-إنها تنتقل من جيل إلى جيل آخر، فهي إذا كانت فردية، بمعنى من المعاني، فهي بمعنى آخر خارج الفرد لأنها وجدت قبل ولادته، وتظل موجودة بعد مماته، وهو يكتسبها كما يكتسب اللغة بحكم ولادته في مجتمع معين.

- إنها عامة حيث يؤمن كل أفراد المجتمع بنفس المعتقدات و يمارسون نفس الطقوس الدينية.

---

[1] - الربيع ميمون، نظرية القيم بين النسبية والمطلقية، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر 1980، ص 218

[2] - المرجع نفسه، ص219

(*) هذه الخصائص التي يحددها دور كايهم لظاهرة الدين هي نفس الخصائص التي تتميز بها كل ظاهرة اجتماعية. أنظر دور كايهم، قواعد المنهج في علم الاجتماع، موفم للنشر 1990، ص39- 40

-إنها إلزامية أي، أنها لا تخضع لمنطلق الأفراد، وإنما تخضع لمنطق العقل الجمعي. فهي بمثابة سلطة لها هيبتها ولها هيمنتها ولا بد للفرد من إطاعتها واحترامها، وأن يسلم بما يسلم به الجميع مثلما يتقبل اللغة التي تفرض عليه.

يعتبر العديد من علماء الاجتماع أن تأسيس علم الاجتماع الديني يرتبط ارتباطا وثيقا بالفيلسوف وعالم الاجتماع الألماني "ماكس فيبر" فقد قدم تفسيرا متميزا لظاهرة الدين يختلف به عن تصورات المفكرين وعلماء الأنثروبولوجيا وعلماء الاجتماع الآخرين، إذ أنه يميز بين التدين الممزوج بالسحر، وهي ديانة الأقوام البدائية، وبين الديانات السماوية التي جاء بها الأنبياء.[1]

وفي كتابه الشهير" البروتيستانتية وروح الرأسمالية " حاول الإجابة عن الإشكالية التالية: لماذا ظهرت الرأسمالية في مجتمعات معينة ولم تظهر في مجتمعات أخرى؟ وهل يوجد علاقة بين ظهورها في هذه المجتمعات وبين الأخلاق الاقتصادية الخالقة لها والتي يمكن أن نجدها فقط في النصرانية البروتيستنتية؟

قام ماكس فيبر للإجابة عن هذه الإشكالية بدراسة مقارنة لمختلف الأديان ممثلة في الإسلام، والكنفوشية، والهندوكية، والبوذية، واليهودية، والمسيحية والنسق القيمي المرتبط بكل منها. كما بحث في مدى تأثير القيم على النشاط الاقتصادي ، حيث اكتشف أن العقائد أو الأديان تنتج قيما أخلاقية تسهم في بناء الحضارة، وقد استمد هذا التصور من تحليله الدقيق لتعاليم لوثر (Luther) (1483-1546)، وكالفن (Calvin) (1509- 1564) إذ وجد روح البروتيستانتية كما تبدو في أخلاقياتها العملية في الحياة اليومية، تطابق في الواقع روح الرأسمالية الحديثة ذلك أن العقيدة البروتينتانتية تربي الفرد تربية عقلانية وتبث فيه أخلاق التقشف وتقديس العمل وتأديته بإخلاص وحماس باعتباره واجبا مقدسا.[2]

وعلى هذا الأساس، أثبت فيبر من خلال دراسة مدى تأثير الأخلاق البروتيستانتية على الأنشطة الاقتصادية أو سلوك الأفراد الاقتصادي أن الروح الرأسمالية هي نفسها روح العقيدة البروتستاتنية بما

---

[1] – إيفانز بريتشارد، الإناسة المجتمعية وديانة البدائيين في نظرية الأناسين، مرجع سابق، ص 293

[2] – نورة خالد السعد، التغيير الاجتماعي في فكر مالك بن نبي. دراسة في بناء النظرية الاجتماعية، دار السعودية للنشر و التوزيع، ط1، 1997، ص 249

تتضمنه من سلوك وأخلاقيات عملية وبالتالي فإن البروتيستانية تعد شكلا تنظيميا للمجتمع الديني ، كما أنها مشروع ديني لتنظيم المجتمع العلماني.

لكن هناك ملاحظة هامة ينبغي أن نلفت النظر إليها وهي أن ماكس فيبر يتصور أن الدين هو أحد العوامل التي أدت إلى نشأة الرأسمالية وليس هو العامل الوحيد والحاسم في نهاية المطاف، ويؤكد هذا حيث يقول:" لست أهدف إلى أن أستبدل بالأحادية المادية أحادية روحية في تفسير الحضارة والتاريخ فكلاهما على نفس القدر من الأهمية."[1]

خلاصة:

لقد قدم علماء النفس و علماء الاجتماع و الأنتروبولوجيين عدة تعريفات لمفهوم الثقافة و اتخذت عدة دلالات و معان واقتصرت هذه التعريفات على جانب معين من جوانبها فقط، ويعتبر التعريف الأنتروبولوجي الذي صاغه " إدوارد تلور" قاعدة وإطارا يعتمد عليهما المفكرون و الباحثون المحدثون في دراساتهم و منجزاتهم العلمية، ذلك لأن هذا التعريف يشمل كل جوانب و عناصر الثقافة المادية و المعنوية وكل ما أنتجه الإنسان بصفته كائن اجتماعي.

و تعددت النظريات في مقاربتها لمسألة الثقافة منها النظرية التطورية والوظيفية والبنيوية والانتشارية و الماركسية ومدرسة التحليل النفسي .. و الخلاف بين هذه النظريات ليس حول تعريف الثقافة بقدر ما هو خلاف مرتبط بنوعية المناهج و طبيعة المفاهيم المستعملة في مقارباتهم لموضوعات مرتبطة بها منها: القرابة ونظام الزواج والأسطورة و الدين و السحر...

[1] – المرجع السابق، ص 250.

المجلس العلمي
كلية العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية
جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان

المحاضرة الخامسة:

مفهوم مابين الثقافي والتحولات الاجتماعية

تمهيد:

يعتبر مفهوم التغير الاجتماعي من المفاهيم الحديثة، التي استعملت في مجالات العلوم الاجتماعية وبخاصة في علم النفس وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا...، ولكنه موضوع قديم نستشفه عند فلاسفة اليونان القدامى وعصر الأنوار، و تداخل مع مفاهيم أخرى منها: التطور والتقدم والتنمية والنمو.. و مع تطور الدراسات و الأبحاث العلمية صار لكل مفهوم من هذه المفاهيم تعريفه ومجاله المعرفي الخاص به، رغم الترابط والتكامل في ما بينها، ويبدو أن مفهوم التغير الاجتماعي قد تم تحديده وضبط تعريفه وتمييزه عن المفاهيم والمصطلحات من قبل عالم الاجتماع الأمريكي " ولهيم أغبرن " في كتابه " التغير الاجتماعي " سنة 1922 وصار تحديد هذا المفهوم يقوم على المحددات التي صاغها هذا العالم.

لقد استقر المفكرون في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا على استعمال مفهوم التغير الاجتماعي في دراساتهم و أبحاثهم لكونه يدل على استقراء الواقع و النظر إليه بمنهجية علمية موضوعية بينما يتخذ مفهوم التقدم و التطور والنمو بعدا و خلفية ذاتية و أخلاقية و قيمية بمعنى أن سؤال التغير الاجتماعي يبحث في ما هو كائن بينما تبحث المفاهيم الأخرى عن ما يجب أو ينبغي أن يكون.[1]

1- تعريف التغير الاجتماعي:

لقد استعمل كثير من المفكرين و العلماء مفهومي التغير الاجتماعي والتطور للدلالة على معنى واحد، و كان مفهوم التطور قد ارتبط بالنظرية التطورية و انتشر استعماله في المجالين: البيولوجي عند داروين و الاجتماعي عند عالم الاجتماع الانجليزي " هربرت سبنسر" حيث تقوم نظرية التطور على فكرة المشابهة بين الكائن العضوي و النظام الاجتماعي، وتطورت النظرية التطورية وصارت تسمى ب" بالنظرية الداروينية الاجتماعية."[2]

---

[1]-عماد عبد الغني، سوسيولوجيا الثقافة، المفاهيم والاشكاليات... من الحداثة إلى العولمة، مركز دراسات الوحدة العربي، بيروت، ط2، 2008، ص191

[2] - المرجع نفسه، ص189

ومن بين تعريفات التغير الاجتماعي ما يلي:

-تعريف جيرث وملز:" هو التحول الذي يطرأ على الأدوار الاجتماعية التي يقوم بها الأفراد، وكل ما يطرأ على النظم الاجتماعية، و قواعد الضبط الاجتماعي التي يتضمنها البناء الاجتماعي في زمنية معينة."[1]

-تعريفات جنزنبرغ :" هو كل تغير يطرأ على البناء الاجتماعي في الكل و الجزء و في شكل النظام الاجتماعي، ولهذا فإن الأفراد يمارسون أدوارا اجتماعية مختلفة عن تلك التي كانوا يمارسونها خلال حقبة من الزمن ."

" يتم التغير في بناء المجتمع، أي في حجمه وتركيب أجزائه و شكل تنظيمه الاجتماعي، و حينما يحدث هذا التغير في المجتمع يمارس أفراده مراكز وأدوارا اجتماعية مغايرة لتلك التي كانوا يمارسونها خلال فترة زمنية سابقة."

تعريف أستية:"كل تحول يحدث في البناء الاجتماعي و المراكز و الأدوار الاجتماعية و في النظم و الأنساق و الأجهزة الاجتماعية خلال فترة زمنية معينة."[2]

تعريف غي روشي:

ألف غي روشي كابا عنوانه " مقدمة في علم الاجتماع " و أفرد له ثلاثة أجزاء تتناول ثلاثة موضوعات هي : التنظيم الاجتماعي و الفعل الاجتماعي و التغير الاجتماعي، حيث يعرف التغير الاجتماعي بأنه:" كل تحول في البناء الاجتماعي يلاحظ في الزمن ولا يكون مؤقتا سريع الزوال لدى فئات واسعة من المجتمع ويغير مسار حياتها."[3]

و يحدد غي روشي مجموعة من الخصائص المحددة للتغير الاجتماعي منها:

---

[1] – دلال وائل استيتية، التغير الاجتماعي والثقافي، دار وائل، عمان، الأردن، ط3 ،2010، ص20

[2] – المرجع نفسه، ص22

[3]- Guy Rocher, Introduction à la sociologie générale 3.le changement social, édition H M H, Ltée, 1968, p 24

– التغير الاجتماعي يصيب البناء الاجتماعي، أي شكل النظام الاجتماعي في الكل أو الجزء، فالتغير الاجتماعي في هذه الحالة هو الذي يحدث أثرا عميقا في المجتمع، و هو الذي يطرأ على المؤسسات الاجتماعية كالتغير الذي يطرأ على الأسرة أو النظام السياسي أو الاقتصادي أو التربوي...

– يرتبط التغير الاجتماعي بعامل الزمن أي أنه محدد به إذ يبدأ في فترة زمنية وينتهي في فترة زمنية معينة للمقارنة بين الحالتين الماضية والراهنة.

– التغير الاجتماعي حالة دائمة و مستمرة محددة بأبعاد و أهداف مختلفة فالتغير الذي ينتهي بسرعة لا يعد تغيرا لعدم القدرة على فهمه و عدم وضوحه فكلما كان التغير دائما اتضحت حالته و معرفة أسبابه وأهدافه وأبعاده.

تعريف عاطف غيث:" التغيرات التي تحدث في التنظيم الاجتماعي أي في بناء المجتمع، و وظائف هذا البناء المتعددة و المختلفة."[1]

تعريف عاطف العقلة غضيبات:" التغير الاجتماعي هو التحول الذي يطرأ على النظام الاجتماعي، سواء أكان ذلك في البناء أم في الوظيفة، خلال فترة زمنية محددة. و قد يحدث هذا التحول في بنية أو وظيفة الأنساق الاجتماعية المختلفة، أو في أنماط العلاقات بين الأفراد والجماعات، أو في الوظائف والأدوار الاجتماعية، أو في القيم والعادات."[2]

تعريف ماكيفر وبيج :" التغير في العلاقات الاجتماعية وهو تغير في شكلها وطبيعتها بحيث يشمل بناء و وظيفة هذه العلاقات."[3]

استنتاج عام من هذه التعريفات:

نستنتج من هذه التعريفات أن التغير الاجتماعي ظاهرة أو حالة اجتماعية قديمة وحديثة دائمة و مستمرة مرتبطة بسيرورات وسياقات تاريخية زمنية محددة، يحدث تأثيره في البناء الاجتماعي و في القيم والمراكز

---

[1] – محمد عاطف غيث، التغير الاجتماعي والتخطيط، دار المعارف، القاهرة، 1966، ص25

[2] – عبد الباقي الهرماسي وآخرون، الدين في المجتمع العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1990، ص 140

[3] – دلال وائل استيتية، مرجع سابق، ص 25

والأدوار الاجتماعية والعلاقات الاجتماعية يقول عماد عبد الغني :" يشير التغير الاجتماعي إلى التحول في البناء الاجتماعي و الأدوار و قيم الضبط الاجتماعي. وقد يكون هذا التحول إيجابيا أو سلبيا."[1]

2- تعريف التغير الثقافي:

قدم العلماء والمفكرون في مجال العلوم الاجتماعية عدة تعريفات لمفهوم التغير الثقافي، حيث لا نجد خلافا و لا اختلافا في تعاريفهم لهذا المفهوم غير أنهم يميزون بين مفهوم التغير الاجتماعي و التغير الثقافي و يحددون طبيعة العلاقة بينهما.

يتصور علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا و علماء النفس أن التغير الثقافي ظاهرة اجتماعية إنسانية عرفتها جميع المجتمعات والحضارات القديمة و الحديثة و المعاصرة مهما بلغت عاداتها و تقاليدها وأعرافها ومعايرها من القوة و التماسك وشدة التأثير و توجيه الأنماط السلوكية للأفراد، هذا التغير الذي يحدث تأثيره في النظم الثقافية أو في عنصر من العناصر الثقافية، التي تشكله سواء كانت هذه العناصر مادية أو لا مادية معنوية.

إن دراسة التغير الثقافي يتطلب تعريف الثقافة الذي قدمت له عدة تعريفات سيكولوجية وتاريخية و سوسيولوجية و تناولته عدة نظريات بنيوية ووظيفية وماركسية وتطورية وانتشارية ... و كان التعريف الأنثروبولوجي الذي قدمه إدوارد تلور قد حظي بإجماع العلماء والمفكرين السابقين و المعاصرين، ذلك التعريف الذي يظم بين دفتيه الجانب المادي و اللامادي من الثقافة، و لذلك يكون من الصعوبة بمكان تعريف و تحديد مفهوم التغير الثقافي بمعزل عن المكونات المادية و اللامادية من الثقافة.

إن الربط بين مظاهر الثقافة المادية والمعنوية اللامادية يؤكد أن التغير الثقافي يحدث في جميع نواحي المجتمع منها اللغة و الفن و العادات و التقاليد و الحرف والصنائع و الوسائل التكنولوجية ... و من هذه الزاوية أو المنضور يصبح التغير الاجتماعي جزءا من التغير الثقافي، و أن جميع التغيرات الثقافية ليست بتغيرات اجتماعية، و العكس صحيح.

و للتمييز بينهما أكثر يمكن القول إن التغير الاجتماعي يرتبط بالجوانب المعنوية اللامادية من حيث وظيفتها ودورها في البناء الاجتماعي، و ما ينجم عنها من علاقات اجتماعية محددة بقيم ومعايير و

[1] – عماد عبد الغني، مرجع سابق، ص 191

عادات وأعراف، أي عناصر لامادية معنوية، و أما التغير الثقافي فهو يصيب المجتمع ككل سواء كان هذا التغير محدودا أو واسعا، و يظم الجوانب المادية و اللامادية.

و هذا التمييز يمكننا من تحديد العلاقة بينهما أي بين التغيرين إنها علاقة تضمن واحتواء، فكل تغير اجتماعي هو تغير ثقافي، وليست كل التغيرات الثقافية تندرج في إطار التغير الاجتماعي.

كلية العلوم الانسانية و العلوم الاجتماعية
المجلس العلمي
جامعة أبو بكر بلقايد - تلمسان

المحاضرة السادسة:

مفهوم مابين الثقافي و التحولات الاجتماعية (تابع)

1- خصائص التغير الثقافي:

يمكن حصر أهم خصائص التغير الثقافي بناء على تعريف التغير الثقافي و علاقته بالتغير الاجتماعي في ما يلي:

-التغير الثقافي ظاهرة اجتماعية دائمة، و حتمية تاريخية.

- إنه تحول يشير إلى كل التغيرات التي تحدث في البناء الثقافي بجانبيه و مظهريه المادي و المعنوي.

- هو حركة سريعة ومفاجئة لا يحتاج إلى تخطيط و تدبير مسبقين.

- التغير الثقافي نتاج الاتصال الخارجي و الاحتكاك بالثقافات الأخرى و الاختراع و التجديد.

- يحدث التغير الثقافي تكيفا مع أشكال التحديث و التمدن العصرية و قد يواجه بمقاومة ثقافية تتمثل في إعادة إنتاج الأفراد للثقافة التقليدية.

2- عوامل التغير الاجتماعي و الثقافي:

يؤكد علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا أن بين الإنسان و البيئة الطبيعية و الثقافية و الاجتماعية علاقة تفاعلية تتبادل التأثير و التأثر، ويترتب عن هذا التفاعل عملية التغير بمختلف أشكاله و بخاصة التغير الاجتماعي و الثقافي و تتعدد عوامل هذا التغير وتتمثل في عوامل مستقلة عن إرادة الإنسان مثل العوامل البيولوجية و الطبيعية و عوامل أخرى تعبر عن إرادته و فعله وناتجة عنه منها العوامل التكنولوجية و الثقافية.

و سنقوم بتوضيح هذه العوامل في إحداث عمليتي التغير الاجتماعي و الثقافي:

أ- العوامل الطبيعية والإيكولوجية :

تتشكل العوامل الطبيعية والإيكولوجية من المكان بعناصره المختلفة منها: الموقع الجغرافي والتربة و التضاريس و المناخ و الهواء و المواد الأولية، حيث تسهم هذه العوامل من حيث تأثيرها في الهجرة

الجماعية ومثالنا على ذلك قد تهجر بعض الجماعات الاجتماعية من مكان إلى مكان آخر بسبب الكوارث الطبيعية من زلازل وفيضانات وأعاصير .. ويكون لنوعية المناخ أثر كبير في نوع الإنتاج الصناعي و الزراعي و في طبيعة العلاقات الاجتماعية، و يتأثر الدخل و مستوى المعيشة في المجتمع بما تزخر به الأرض من خيرات مادية، فالمجتمعات الصحراوية تختلف عن المجتمعات الغنية بثرواتها النفطية و الحديد و الذهب و المياه، و يترتب عن هذا الاختلاف في طبيعة البيئة الطبيعية اختلاف في النظم الاجتماعية و الثقافية و طرق العيش و أسلوب الحياة الاجتماعية.

ونجد في الفكر الاجتماعي والسياسي والأنثروبولوجي ما يؤكد العلاقة بين البيئة الطبيعية والجغرافية و الإيكولوجية والتغير الاجتماعي والثقافي فقد أوضح ابن خلدون في مقدمته الشهيرة أن المناخ يؤثر في العمران البشري وفي طبيعة الظواهر الاجتماعية و النفسية للإنسان وفي نشاطه وسلوكاته و إنتاجه.

كما ذهب **مونتسكيو** في كتابه " روح الشرائع" أن الشرائع تحددها المناخ وجغرافية المكان لذلك نلاحظ اختلافا في الطقوس والممارسات الثقافية من منطقة إلى أخرى و كمثال على ذلك تختلف نظم و طقوس الزواج والرقص وتقسيم العمل بين الرجل و المرأة .. بين المجتمعات التي تقطن في الشمال و المناطق الصحراوية و الافريقية.[1]

ب- العوامل الديمغرافية:

تتمثل العوامل الديموغرافية أو السكانية في حجم السكان وتوزيعهم وتركيبهم وتلعب دورا كبيرا في حدوث التغير الاجتماعي حيث إن العالم يشهد تزايدا كبيرا في عدد السكان نتيجة تحسن المعيشة وتقدم المجال الطبي الذي تمكن من القضاء على كثير من الأمراض الخطيرة التي فتكت بالإنسان في السابق كما ساهمت المشاريع التنموية والتحديث والتصنيع في زيادة النمو السكاني و الحراك الاجتماعي من الريف إلى المدينة للبحث عن العمل و السكن وتوفير شروط الاستقرار المادي و الاجتماعي.

ويعتبر عالم السكان " توماس روبرت مالتوس " من بين المفكرين الذين أشاروا لدور وتأثير العامل الديموغرافي على الحياة الاقتصادية و الاجتماعية للبشر فقد اعتبر الزيادة السكانية عائقا في وجه تقدم المجتمعات، ويبرر ذلك بأن التزايد الهائل للسكان يتم بمعدلات حسابية فردية يفوق قوة الأرض و

[1] - عماد عبد الغني، مرجع سابق، ص93 -94

إمكانيتها في إنتاج الخيرات المادية الاقتصادية التي تتم بمعدلات حسابية زوجية و يترتب عن هذه المعادلة السكانية المختلة التي يثيرها مالتوس مجموعة من النتائج السلبية و الخطيرة المرتبطة بالأمن الاقتصادي و الاجتماعي منها البطالة و الفقر و الأمراض و الجرائم المختلفة..[1]

لا يمكن التقليل من أهمية ودور العوامل السكانية في إحداث التغير الاجتماعي و الثقافي و لكن لا يمكن أن يرتد التغير لهذا العامل فقط كما أن أطروحة مالتوس معادية لفئة الفقراء و المحرومين حيث يعتبرهم عبئا ثقيلا على المجتمع يتطلب التخلي عن مساعدتهم و إقصائهم من الحياة الاجتماعية و إمكانية التخلص منهم أمر مشروع ما داموا سببا في خلق الأزمات الاقتصادية و الاجتماعية.

[1] – المرجع السابق، ص 195